مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات
ISSN: 1543-2335
E-ISSN: 2012-3299
مجلد: 08 عدد: 01 ماي 2019
العنوان: الترجمة بين معضلة اللغة ومعضلة الثقافة
ص09. ص23

الترجمة بين معضلة اللغة ومعضلة الثقافة

الدكتور. بن معمر بوخضرة، الدكتور. عباس رضوان

جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان

المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ

boukhdra13@yahoo.fr

abbasreda13@gmail.com

تاريخ الإرسال: 26 /2019/05؛ تاريخ القبول: 27/ 2019/05 تاريخ النشر: 02/ 2019/06

Title :Translation between the dilemma of language and culture

Abstract : We often think of this trinity culture, language and translation, and we observe that each term refers to the other one, reinforce it or constitute a barrier and a difficulty. since we examine culture in the language environment itself through its achievements and uses.

Languages development depends upon the needs of the speakers who uses them, they reflect their culture, which appears clearly during the translation process. The question now is how can we get into this dilemma between language and culture in the field of translation?

Key words : Translation, language, culture, interculturality

الملخص:

كثيرا ما نمعن في هذا الثالوث ثقافة ، لغة وترجمة، فنرى بأن كل مصطلح منها يحيل على الاخر، يؤازره ويعاونه او يشكل امامه عقبة وصعوبة. اذ اننا نعاين

الثقافة ببيئة اللغة ذاتها من خلال تحقيقاتها واستعمالاتها. وتتطور اللغات بحسب حاجات المتكلمين الذين يستعملونها، وهي بذلك تكشف عن ثقافتهم التي تتجلى بكل وضوح اثناء عملية الترجمة. والسؤال المطروح هو كيف يمكننا ان نقتحم هذه المعضلة المشكلة من وجهين لغوي والاخر ثقافي في حقل الترجمة؟

الكلمات المفتاحية: الترجمة، اللغة، الثقافة، التثاقف

مقدمة

كثيرا ما نمعن في هذا الثالوث ثقافة لغة وترجمة، فنرى بان كل مضطلع منها بحيل على الاخر يؤازره و يعاونه أو يشكل امامه عقبة وصعوبة، إذ أننا نعاين الثقافة ببيئة اللغة ذاتها من خلال تحقيقاتها واستعمالاتها، وتتطور اللغات بحسب حاجات المتكلمين الذين يستعملونها وهي بذلك تكشف عن ثقافتهم التي تتجلى بكل وضوح أثناء عملية الترجمة (وما شك في أن تعريب الثقافة العلمية هو في نفس الآن تعريب المثقف من أهل الاختصاص وأن تقوية الطاقة التعبيرية للغة l'expressive power رهين وعالق بالزيادة في القدرة التعبيرية l'expressive competence لمتكلمي اللغة و مستعمليها علاوة على أنه مرتبط بقدرة الانسان العربي على الحضور في مجالات الثقافة و العلوم و الاكتشافات التقنية) [1]

والسؤال المطروح هو كيف يمكننا أن نقدم هذه المعضلة المشكلة من وجهين لغوي والاخر ثقافي في حقل الترجمة ؟

المعضلة اللغوية و الترجمة:

لاشك أن الاشتغال على الترجمة هو بالضرورة اشتغال على اللغة وهذا في حد ذاته يحمل عملا مضعفا ، ذلك أن اللغة أصبحت اليوم تحمل من التعقيد والبحث عن حلول لها من جوانب مختلفة ما جعلها مسالة بحد ذاتها ، والمسألة تحتاج إلى إجابة صحيحة عن كثير من التساؤلات، فالإجابة عن المسائل اللغوية هي بالضرورة مفتاح للإجابة عن المسائل المتعلقة بالترجمة لأن (الصعوبة التي يواجهها المترجم عادة عند أداء هذه المهمة تكمن في إيجاد المصطلحات المناسبة)[2] والتي هي من صميم البحث اللغوي واللساني

فالترجمة هي عمل اللغة وتفكير فيها، مما يسمح للثقافات المختلفة أن تتواصل وأن تتحاور بينها اعتمادا على الاختلاف الذي يحيي النصوص وينفتح على الحياة، وهذا يقتضي من كل طرف بأن يعد العدة لهذه العملية التواصلية المعتمدة على التناقل والتواصل بين اللغات، وفي مقدمة ذلك القدرة على الامساك بزمام اللغة وتطويعها بالشكل الذي يجعلها قادرة على محاورة أي لغة أخرى، نقول هذا حتى يدرك أبناء أي لغة أهمية لغتهم كمبدأ أولي قبل أن يدركوا أهمية الترجمة لان هذه الاخيرة مرتبطة بأهمية لغة المصدر قوة وضعفا

وهنا يدرك الجميع تمام الادراك بأن هناك تفاوتا كبيرا بين اللغتين الانجليزية والفرنسية وبين اللغة العربية فالإحصائيات تشير إلى أن عدد ما ترجم من الكتب الى الانجليزية والفرنسية في الامم المتحدة لوحدها بلغ 120 كتابا في حين بلغ عدد ما ترجم إلى اللغة العربية لا يتعدى 23 كتابا فقط حسب إحصائيات 2002، هذا ما جعل منظمة اليونسكو تعبر في تقاريرها عن قلق وتخوف حيال مستقبل اللغة العربية، وحذرت من تراجع مكانتها لعدم وجود آليات فعالة لنشرها ودعمها مما يقتضي المبادرة إلى قيام مشروع عربي لإنقاذ اللغة العربية.

يرتكز على الاهتمام بها وتسيير سبل تعلمها والعناية بالترجمة والتعريب، وتعميم استعمالها في وسائل الإعلام ومختلف مجالات الحياة الاخرى.

لكن السؤال المطروح ما هي المشاكل التي تعترض اللغة العربية في مجال الترجمة؟

الإجابة عن هذا السؤال هو في غاية التعقيد، لأن التراكمات ترجع إلى المراحل الأولى في اكتساب اللغة، وهي مرحلة الطفولة (الحالة النفسية والانفعالية) " حتى أصبحت هناك أصوات ترتفع اليوم مشيرة إلى خطورة التخلف اللغوي. منشؤها عدم تسهيل الانتقال من النشاط الفردي الخاص بالطفولة المبكرة إلى النشاط الاجتماعي الخاص بالمراحل التالية (حوار، لعب جماعي، محادثات،

أعمال جماعية....) "[3]هذه العقدة اتجاه اللغة تكبر مع الطفل في المراحل التالية من التنشئة الاجتماعية من المستوى الجامعي، إذ نجد الطالب الجامعي متعثرا ومنتظرا بين أستاذ يدرسه بلغة لا يتحكم فيها ويفرض عليه مراجع بلغة أجنبية، وبين تعلم اللغة من جديد، فالمسألة هنا ترتبط بالسياسات اللغوية التي تنتهجها كل دولة في تعليم لغاتها الوطنية أو في تعلم اللغات الأجنبية، وتحديد مكانة الترجمة بينهما وبالتالي فإن كثيرا من الحلول المتوقعة في هذا الجانب يجيب عنها علم اللغة.

علم اللغة و الترجمة:

لاشك أن الكثير من العقبات التي تعترض المترجم ترجع بحلولها إلى علم اللغة، لكن المشكل المطروح، أن الذين خاضوا في الترجمة أصبحوا ينظرون إلى علم اللغة على أنه علم ممكن الإلمام به في بضعة أسابيع وهذا أمر من الصعب تحقيقه.

والمسألة اللغوية اليوم في ظل علم اللغة الحديث أصبح مرتبطا بأمور خارجة عن اللغة، إذ "يذهب البعض إلى أن معرفة اللغة وحدها لا يكفي، بل يجب أن نضيف إليها معرفة البلد الذي يتحدث هذه اللغة وعاداته وحضارته وثقافته"[4]. هذه العملية تتحقق بالمعايشة في الوسط الثقافي الذي نريد أن نتعلم

منه لغته، وذلك عن طريق الاتصالات المباشرة في نفس البلد الذي يتحدث هذه اللغة.

لان العقبات التي تعترض المترجم اليوم في أغلب الأحيان هي تلك التي ترجع إلى عبقرية اللغات وغناها وصورها، وألوانها وتعبيراتها، أما تلك التي ترتبط باللغة بطريقة مباشرة يمكن الوصول إلى معرفتها بكل سهولة مثل اختلاف البنية النحوية بين اللغات واختلاف التراكيب، ولهذا نجد بأن التفسيرات الذاتية والحدسية التي ترتبط بعبقرية هذه اللغات هي التي تشكل العائق الحقيقي أمام المترجم لأنه يجهل قواعد تلك اللغة فتأتى ترجمته بعيدة عن المعنى المقصود، فالإعراب مثلا في اللغة العربية نستطيع التمييز بين المعاني ونعرف أغراض المتكلمين فلو نطق شخص بالعبارة التالية " ما أحسن زيد " لما فهمنا غرضه لأن هذه العبارة تشتمل العبارات المعربة التالية :

ما أحسن زيدا

ما أحسن زيد

ما أحسن زيد

يضاف إلى ذلك اختلاف الوضع اللغوي الذي تكون فيه الكلمة إما داخل السياق الدلالي أو في استعمالاتها داخل الحقول الدلالية المعرفية المختلفة ومن هنا ظهرت في اللسانيات الحديثة ما يعرف بالنظرية السياقية.

النظرية السياقية والترجمة:

السياق هو من العلوم الدلالية التي تبحث عن الوظيفة الاجتماعية للغة ، وأول من اهتم بهذا العلم في البحوث اللسانية المعاصرة الباحث الانجليزي فيرث الذي ارتبط اسمه بهذه النظرية، وكان يرى بأن إنتاج الملفوظات اللسانية يتم في اطار سياق الموقف الاجتماعي والثقافي، وبذلك يبرز المتكلم والمستمع للغة دوره وشخصيته في البيئة اللسانية المتجانسة، وهي الفكرة التي كانت سائدة في الاوساط اللسانية والانثروبولوجية التي تقر بوجود علاقة بين النظام اللساني وثقافة المجتمع المستعمل لذلك النظام وبالتالي امست الملفوظات اللسانية عسيرة على الفهم إلا بردها إلى سياقها الثقافي والمترجم يعلم علم اليقين أن الساق هو المحدد للمعنى الدقيق للكلمة أنه كما يقول بول ريكور" نشاط تمييزي ويخص أساسا التأويل"[5] والسياق اللغوي بدوره مركب من مختلف أنواع السباقات الاخرى التي تدخل في تكوينه والتي يمكن تحديدها فيما يلي :

السياق اللغوي: هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام البجملة متجاورة مع كلمات أخرى ، مما يكسبها معنى خاصا و محدد، ان السياق اللغوي يحدد كثيرا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف او الاشتراك اللفظي ، فالمعنى الذي يقدمه المعجم هو معنى متعدد و عام و يتصف بالاحتمال في حين أن المعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة و سمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك و يمكن أن نمثل

ذلك للكلمة المعجمية للفعل ضرب الذي يختلف مدلوله باختلاف السياق اللغوي الذي وضع فيه :ضرب المعلم التلميذ

ضرب لنا مثلا

ضرب في الارض

بالثلاثة اضرب تختلف معانيها باختلاف الوضع اللغوي الذي وجدت فيه و المترجم لا يعرف هذه الاختلافات الا اذا كان عارفا للسياقات اللغوية المختلفة

السياق العاطفي: هناك مجموعة معينة من الكلمات التي لا يمكننا أن نفهم دلالتها الا بارجاعها إلى سياقها العاطفي التي تكون مشحونة به فيه ما هو مشترك عام عند جميع الشعوب مثل مفردات القرابة أم ، أب ،أخ ....أو مفردات تتعلق بالهوية و الانتماء أرض، أمة ، وطن أو بعض المفردات المجردة مثل حرية ،عدل...

السياق الثقافي: و يظهر في استعمال كلمات معينة في منسوب لغوي محدد مثل استعمال كلمة فتح ، غزو مثلا فهذه الكلمات لا ترتبط بثقافة عامة بل خاصة ، على المترجم ان يكون على دراية بها حتى لا ينحرف عن المعنى الحقيقي أثناء ترجمته .

الترجمة إذن هي "وظيفة لسانية قوامها النقل من لسان إلى آخر بقصد التفهيم و الإفهام، لا بقصد الفهم ، و قاعدتها التعبير عن معنى المنقول في لغة النقل (

المعنى الفرنسي في اللسان العربي مثلا) إلا أن هذا النقل للرسالة لا يمكن أن يتم دون تناقص معين في المعلومة المنقولة دون قصور الترجمة عن النص الاصلي" [6] .

فإذا كانت الترجمة في أكمل صورها تحتوي على هذا القصور في نقل المعنى و حصول الفهم عند المتلقي المترجم له، فكيف يكون الامر إذن إذا اعترض المترجم عائق لغوي أو لساني؟ في هذا الباب اشترط اللسانيون ما يعرف بمصطلح الكفاية اللسانية و حسب لوني" فإن الكفاية اللسانية للمتكلم ذلك أن الكفاية تسمح بفهم انتاج عدد لانهائي من الجمل بحيث أن اللسانيين يقابلون أو يعارضون الكفاية مع الانجاز"[7]، هذا التقابل بين الكفاية و بالانجاز اخذ في حقيقة الامر من اللسانيات العامة التي وضعها فاردیناد ديسوسير، عندما فرق بين اللغة langue و الكلام parole، حيث اعتبر اعتبر ان اللغة " كنظام من العلامات المشتركة بين عشيرة لسانية في حين ان الكلام هو مجموعة مفترضة من الجمل الكتابية أو الشفوية اللامحدودة و الخاصة بانفراد نفس الجماعة او العشيرة"[8].

فالكفاية اللسانية و الانجاز اللساني هو من بين ما يجب توفره في المترجم من يستطيع القيام بعملية التوصل والنقل من لغة إلى اخرى. فالكفاية اللسانية هي التي توفر للفرد امكانية توليد عدد غير محدود من المنتوجات اللغوية أما الانجاز اللساني فهو يدل على الاستعمال الفعلي للغة داخل

وضعيات ملموسة، هذا يحيلنا إلى أهمية اللغة في الحقل الترجمي" فقد دلت تجارب متعددة على أن النهوض بالترجمة هو أيضا نهوض باللغة إلى جانب النهوض بالمعرفة و الثقافة"[9].و انتهاء إلى ما قاله الفهري ندرك أيضا البعد الثاني للترجمة الذي هو الثقافة والتي تقف هي الاخرى كعائق في وجه المترجم.

المعضلة الثقافية والترجمية :

توجد هناك علاقة وطيدة بين الترجمة والثقافة فهما متلازمان قبلا وبعدا وأثناء عملية الترجمة في حد ذاتها لان الترجمة تتعدى نطلق النقل من لغة إلى أخرى، لذلك فان مهمة النقل الثقافي عن طريق الترجمة بحاجة إلى تنظيم محكم و تخطيط شامل يحدد الاهداف على ضوء الواقع الحالي و المستقبل القادم، لان ما يميز الترجمة عندنا اليوم هو الغوص والارتجال وغياب التنظيم والتخطيط.

حاجة العرب للترجمة:

لاشك أن العرب اليوم بحاجة ماسة اكثر إلى الترجمة والنقل عن الحضارة الغربية بكل لغاتها ، فالهوة الحضارية التي تفصل العرب عن الغرب هي كبيرة نتيجة الفترة الطويلة التي كبتتها الامة العربية بعيدا من منتجات الحضارة في جميع مجالاتها المعرفية. فهذا التراكم المعرفي الضخم عليه أن يفهم ويهضم وينقل بالشكل الذي يسمح لنا بعملية اقلاع حضاري حقيقي، وليس مجرد نقل انطباعي مبني على الانبهار الارتماء في أحضان الحضارة الغربية.

فحركة الترجمة ترتبط بالأفق الفكري لكل أمة، فالاستيعاب الثقافي والنضج والوعي الذي يخلقه عند المثقف يكون قادرا على جعل الترجمة في مستوى الابداع والتجديد، وبدونه تبدو الترجمة شحيحة وغير معقولة مثال على ذلك أن بعض المترجمين العرب بدلوا جهودا جبارة لترجمة ميشال فوكو وليفي سترويس، لكن هذه الترجمات ظلت غائبة عن السوق الثقافي ،و يرد ذلك حسب عبد السلام "ليس ضعف قدرات المترجمين ولكن هذه الترجمات تم استقبالها بروح غريبة و ليس عربية"[10].

وبحسب رزيه فإن ذلك يعد آذان بضياع اللغة والثقافة والجهد الترجمي معا، لان الاهداف لم تتحقق .

فالترجمة هي عمل على اللغة وتفكير فيها مما يسمح للثقافات المختلفة أن تتواصل وأن تتحاور بينها اعتمادا على الاختلاف الذي يحيي النصوص، و ينفتح على الحيلة ، من هنا تأتي أهمية المثاقفة التي تنشا من الترجمة باعتبار أنها تسمح للنص بأن ينتقل من ثقافة إلى أخرى وأن يتمكن بأن يدوم.

فالمثاقفة بهذا الشكل تعني الدوام والتحول والتجدد وبالتالي النمو والتكاثر، ذلك أن نصا يختفي ويموت بمجرد ما لم يجد ثقافة تحتضنه و تسمح له بأن يلج عوالم أخرى مختلفة وأن يصاغ في قوالب جديدة يمنحه بفعل ذلك دلالات ووظائف جديدة وهذا ما أكده الأستاذ بن عبد العالي عبد السلام " بأن

ازهى عصور الفكر غالبا يكون مقتربا بازدهار حرية الترجمة لكونها تقتحم الآخر داخل الذات و يجعل الثقافة تواجه نفسها وتتعارض مع ذاتها"[11].

الترجمة بين المثاقفة والعولمة:

لقد شكلت الترجمة على مر العصور نشاطا انسانيا ،هو بمثابة جسر للتواصل والتفاعل والتلاقح بين اللغات، و رحلة في الثقافات والحضارات المغايرة سعيا منها إلى البحث عن آفاق جديدة و متنوعة بتنوع الأسئلة المختلفة التي تطرحها مختلف الهويات ،وهذا ما أدى إلى انتاج خطابات متنوعة حول هذه الترجمات خاصة "أن أنماط المعارف والعلوم في عصرنا الحالي، تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية والعرقية لتسهم في بلورة فكر انساني شامل" [12].

فاذا كانت للترجمة فعلا تخصيبا يمنح النص الاصلي حياة جديدة في أفق ثقافي وحضاري مختلف، فان هدفها المثالي هو إغناء هذا النص بأسئلة جديدة ربما لم تكن في حسبان مؤلفه ، ذلك بأن فعل الترجمة تأويل جديد للنص الاصلي من حيث اجابتها عن أسئلة متشابكة و معمقة، ومن خلال إثارتها للأسئلة أخرى قابلة للتطور والنقاش.

إن هذا الثراء المعرفي الجديد، الذي تضيفه الترجمة إلى ثقافات الشعوب سوف يؤدي حتما إلى دور حيوي في نهضة الشعوب بوصفها المعبر الرئيسي أو القناة الاهم التي تنتقل عن طريقها الثقافات المختلفة والي ستصبح فيما بعد

جزءا من النسيج الحضاري للأمة ، ويشهد تاريخ الشعوب بذلك حيث ترجمت الحضارة العربية الإسلامية فلسفة أرسطو وسقراط و أفلاطون، وبالمقابل ترجمت الحضارة الغربية كتب ابن رشد وابن سينا والفارابي، لكن عصرنا الحالي أخذ طابعا خاصا أضحى يميزه عن سائر العصور الماضية، حيث انفتحت البوابات الثقافية بين بلدان العالم بشكل منقطع النظير. وأصبح "التنوع الثقافي هو الحدود الجديدة للعولمة"[13] كما كتب دومنيك ولتون.

فقد أصبح العالم اليوم بفضل الثورة المعلوماتية و ثورة الاتصالات أشبه بالقرية الصغيرة ، وما عاد بالإمكان أن تنعزل أمة بثقافتها عن تيارات العولمة، والتي أصبحت تفرض فرضا على كل امة ، امام هذا الواقع وجدت الترجمة نفسها في مهمة صعبة، اذ اصبح واجبا عليها ان تنشط نشاطا غير عادي لكي تواكب التطورات المتلاحقة كما بات امامها واجب اخر تطلع به هو التقريب بين وجات النظر المتعارضة، والقيام بدور التعارف الواجب بين الشعوب والثقافات، ليحل التفاهم محل الصراع والمصالحة محل النزاعات التي يقوم معظمها على الجهل بالأخر، الذي غالبا ما يكون مرده الى ضيق في الرؤية وبالتالي ضيق في الحكم على الاخرين.

فالترجمة تعمل على توسيع افاق المعرفة وتسريع وتيرة التفاعل الحضاري للأمم حتي تتجاوز الاطر اللغوية الضيقة لمعرفة العالم، انها الوسيلة الارفع لحوار الحضارات منذ القدم وازدادت اهميتها في الوقت الراهن وهي ليست دليلا على

الوهن الحضاري الامم الاكثر تقدما هي الاكثر اهتماما بالترجمة، لأنها تدرك ان الترجمة وسيلة مشاركة في ثمار العقول البشرية كافة.

ولهذا فالترجمة تحتاج الى رؤية شاملة من خلال ترتيب الاولويات، لما يجب ان يترجم الى لغاتنا وما يجب ان نترجمه من اللغة العربية الى لغات اخرى.

الهوامش

[1]عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات و اللغة العربية، منشورات عويدات ، بيروت، باريس ، ط1 ،1986 ، ص 392

[2] سفيان مدني ، مدخل إلى الادوات المساعدة في الترجمة، دار هومة، الجزائر،ط 1 ، 2013،ص49

[3] الذوادي محمود، مجلة الفكر العربي، مخاطر الإزدواجيات اللغوية و الثقافية على اللغة و الهوية الجماعية، السنة السادسة عشر ، العدد80، 1995، ص 97 .

[4] الذوادي محمود، ضعف المناعة اللغوية و الهوية المرتعشة في المجتمعات المغاربية، ابن النديم للنشر و التوزيع ، ط 2018/1 ص 105.

[5] Dicoeur . p. la tache de l'hermeentique,inexgeses,nenchatel delachaux et iestlé,editions,paris 1975/p180

[6] خليل احمد خليل ، مفاتيح العلوم الإنسانية، معجم عربي فرنسي انجليزي، دار الطليعة، بيروت ، د. ط، ص 106.

[7] فيليب جوفانيير، نحو فهم عميق للكفايات (الكفايات و السوسيوبنائية) ، ترجمة عبد الكريم غريب، عز الدين الخطابي، منشورات عالم التربية ، ط 2005،1،ص 29.

[8] المرجع نفسه،ص30

[9] عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية و تعثرات الترجمة، الكتاب الجديد ط5، 2005، ص 82.

[10] بن عبد العالي عبد السلام، الترجمة و الثقافة، دار توبقال، المغرب،ط1، 2014، ص.16

[11] بن عبد العالي عبد السلام، الترجمة و الثقافة، ص 36.

[12] محمد سالم سعد الله، ألسنة النص(مسارات معرفية معاصرة) ،عالم الكتب الحديث، ط1، 2006، ص 196.

[13] Domenic Walton, Demain la francophonie, paris, flammarion,2006p35